لا تسمع ولا تجيب لا في الحال ولا في المآل الى يوم القيامة وانما جعل ذلك
غاية لان يوم القيامة قد قيل ان الله تعالى يحييها ويخاطب من يعبدها
فلذلك جعله الله تعالى حدا وقيل المراد عبدة الملائكة وعيسى وانهم يوم
القيمة يظهرون عبادة هولاء العابدين وهم عن دعائهم اي دعاء المشركين
اياهم غافلون اي لهم هذا الوصف لا ينفكون عنه لا يعلمون من
يدعوهم ومن لا يدعوهم وعبر بالغفلة التي هي من اوصاف العقلاء للجماد
ان كان المراد اعم من الاصنام وغيرها ممن عبدوه من عقلاء الانس
وغيرهم ولما عيا سبحانه بيوم القيمة فافهم انهم يستجيبون لهم فيه
بين ما يجاورونهم به اذ ذاك فقال تعالى واذا حشر اي جمع
بكره على ايسر وجه واسهل امر الناس اي يوم القيمة كانوا
اي المدعون لهم اي الداعين اعداء ويعطيهم الله تعالى قوة الكلام
فيخاطبونهم بكل ما يخاطب به العدو عدوه وكانوا اي المعبودون
بعبادتهم اي الداعين وهم المشركون اياهم كافرين
اي جاحدين لانهم كانوا عنها غافلين كما قال تعالى في سورة
يونس عليه السلام وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون
ثم بين تعالى انهم في نهاية الغباوة بانكارهم لا شي ابين منه بقوله
تعالى واذا تتلى اي تقرا من اي قارئ كان على وجه المتابعة عليهم
اي هولاء البعداء البغضاء اياتنا التي لا اعظم منها في انفسها
باضافتها الينا وهي القرآن وقوله تعالى بينات اي ظاهرات
حال قالوا هكذا كان الاصل ولكنه تعالى بين الوصف الحامل لهم
على القول فقال تعالى اي ستروا تلك الانوار التي ابرزتها لك
انتداوه لها هكذا كان الاصل ولكن قال تعالى للحق اي لاجله
لما اي حين جاءهم اي من غير نظر وتامل هذا اي الذي
يتلى سحر اي خيال لا حقيقة له مبين اي ظاهر في انه
خيال باطل وقوله تعالى ام يقولون افتراه اضراب عن ذلك كتسميتهم
اياه سحرا الى ذكر ما هو اشنع وانكار له وتعجب ثم بين تعالى بطلان
شبهتهم بقوله تعالى قل اي يا اشرف الخلق ان افتريته اي
تعمدت كذبه على زعمكم وانما انا اريد به نصيحتكم فالذي افتريه
عليه وانسبه اليه يعاقبني على ذلك ولا يتركني اصلا وهو
معنى قوله فلا تملكون اي ايها المنصوحون بوجه من الوجوه
ولا في وقت من الاوقات لي من الله اي الملك الحليم شيئا من
الاشياء لما يرد عني انتقامه لان الملك لا يترك من كذب عليه
مطلق كذب فكيف بمن يتعمد الكذب عليه في الرسالة بامور

قال الذين كفروا

عظيمة

عظيمة وملازمة صباحا ومساءا اي حامل لي حينئذ على افترائه ثم علل ما افاده
الكلام من وجوب الانتقام بقوله هو اي الله سبحانه اعلم اي منكم
ومن كل احد بما تفيضون فيه اي تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن
والقول فيه بانه سحر كفى به شهيدا اي شاهدا بليغ الشهادة لانه
اعلم بجميع احوالنا بيني وبينكم اي ان القرآن جا من عنده فيشهد
لي بالصدق ولكم بالكذب وقد شهد بصدقي بعجزكم عن معارضة شي
منه هذا الكتاب الذي اتيت به فثبت بذلك انه كلامه لاني لا اقدر
على ما تقدرون عليه فرادى ولا مجتمعين وانتم عرب مثلي بل وانا
امي وفيكم انتم الكتبة والذين خالطوا العلماء وسمعوا الاحاديث
الامم وضربوا بعد بلاد العرب في بلاد العجم فظهر بذلك ظهور الشمس
انكم كاذبون وهو اي وحده الغفور اي الذي من شانه ان يمحو
الذنوب اعيانها واثارها فلا يعاقب عليها ولا يعاتب الرحيم اي الذي يكرم
بعد المغفرة ويتفضل بالتوفيق لما يرضيه قال الزجاج هذا دعا الى التوبة
ومعناه غفور لمن تاب منكم رحيم به ولما حكى تعالى طعنهم في كون القرآن
معجزا بقولهم انه يختلقه من عند نفسه ثم ينسبه الى انه كلام الله تعالى
على سبيل الفرية حكى عنهم شبهة اخرى وهو انهم كانوا يقترحون
عليه معجزات عجيبة ويطالبونه بان يخبرهم عن المغيبات فاجاب الله تعالى
عن ذلك بقوله تعالى قل اي لهولاء الذين ينسبونك الى الافترا ما كنت
اي كونا ما بدعا اي منشا مبتدعا محدثا مخترعا بحيث اكون
اجنبيا منقطعا من الرسل اي لم يتقدم لي منهم مثال في اصل ما
جئت به وهو التوحيد ومحاسن الاخلاق بل قد تقدمني رسل كثيرون
اتوا بمثل ما اتيت به ودعوا اليه كما دعوت اليه وصدقهم الله تعالى
بمثل ما صدقني به فثبت بذلك رسالتهم وتبعهم من صدقهم من قومهم
وشقي من كذبهم فانظروا الى اثارهم واسالوا عن سيرهم من اتباعهم
وانصارهم واشياعهم تنبيه البدع والبديع من كل شي المبدا والبدعة
ما اخترع مما لم يكن موجودا قبله وفي الحديث كل بدعة ضلالة وكل ضلالة
في النار قال البقاعي معناه والله اعلم انه يبتدع ما يخالف السنة
فاذا احدث ما يخالفها كان باحداثه ضالا مشركا وكان ما احدث في
النار ولم يدخل تحت هذا ما يخترعه الانسان من افعال البر ليسمى
بدعة لعدم فعله قبل ذلك فيخرج عما ذكر انتهى وقال ابن عبد السلام
البدعة منقسمة الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة
قال والطريق في ذلك ان تعرض البدعة على قواعد الشريعة
فان دخلت في قواعد الايجاب فهي واجبة كالاشتغال بعلم النحو

وسعديهم

Copyright King Saud University